بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج القرآني في الإعجاز العلمي

الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

انزل الله تعالى القرآن الكريم لكي يهتدي الناس بآياته ، ووصفه الله تعالى بالنور و الحياة ومصدر الهداية قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ طه/123-124.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة 15-16 ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ الشورى/ 52 .

وهذا القرآن العظيم انزله الله أسند مهمة تبيينه إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والى ورثة النبوة وهم العلماء قال تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل/44

والآية تدل على أن الناس يحتاجون إلى بيان ما نزل من القرآن فقام بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قيام وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (قال ابن مسعود رضي الله عنه فيما أخرجه ابن أبي حاتم : ما من شيء إلا بين لنا في القرآن ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه فلذلك قال تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] .

وكانت عملية التبيين تشمل تبيين الأحكام والمعاني الغامضة التي لا يفهمها إلا العالمون (وقد اخرج ابن أبي حاتم المجاهد في قوله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ قال : ما احل لهم وما حرم عليهم)[2] .

---

(1) السيوطي /مفتاح الجنة في الأحتجاج بالسنة/ص16

(2) السيوطي/الدر المنثور في التفسير المأثور/ج4/ص119

ومع مهمة التبيين التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم قام الصحابة من بعدة بتوضيح معاني الآيات ، وبعد الصحابة قام علماء التابعين بهذه المهمة (ومن التابعين من تلقى جمع التفسير عن الصحابة كما قال مجاهد (عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منة وأسئلة عنة ، ولهذا قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم)[1] .

ومع عملية توضيح معاني الآيات التي قام بها العلماء كان القرآن الكريم يطالب المؤمنين بتدبر الآيات قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد/24 .

وقال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص29 ، وتدبر القرآن يعني فهمة والتعرف على دلالات آياته بذلك يكون أهم عمل يؤديه العلماء لخدمت كتاب الله الخالد هو تعليم الناس معاني القرآن الكريم والكشف عن أسراره التي لا تنضب إلى قيام الساعة ، وفي كل عصر هناك مستوى من الوعي والثقافة لدى الناس ويتأثر هذا المستوى بالبيئة و ثقافة العصر ، وف كان لا بد من مواكبة تكييف النص القرآني لفهم العصر وخطاب العصر، ولهذا السبب كان الله تعالى يرسل الأنبياء و الرسل بلغت أقوامهم وبما يتناسب مع مستوى أدراك إنسان ذلك العصر ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم/4 ، ولما كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلى قيا الساعة وجب أن يتجدد فهمة وتأثيره في كل عصر إلى الساعة وهذا التجديد يعني استمرار استيعاب القرآن لحياة الناس وما يستجد فيها من أساليب ووسائل للعيش .أما الجانب الأخلاقي والتشريعي والعقائدي فلا دخل للتجديد فيه . وبذلك يكون الأعجاز العلمي أو ما يعني عدم تقاطع ما توصل إليه العلم المادي مع آيات القرآن الكريم ودلالاته يكون هذا مجالا حيويا أمام المسلمين للتأمل والإبداع فأن هذا الجانب من أوجه دلالات القرآن الكريم يعد مجالا مفتوحا أمام قدرات عقل الإنسان لكي يتأمل آيات القرآن الكريم ويربط بينها وبين آيات الكون الكبير فيتعمق الأيمان بقدرة الخالق فيمضي الإنسان بخطى حثيثة لتحقيق دورة على الأرض . وبما أن عصرنا الحالي هو عصر العلم والتكنولوجيا فأن التحدي الذي يواجه المسلمين اليوم هو قدرتهم على الخوض في ميادين العلم والإبداع في مجالاته المتنوعة و التكيف على أن يكونوا جزئاً من الحياة الإنسانية بدون تبعية حضارية أو أن يستدرجوا إلى صراع غير متكافئ في ميادين التطور التكنولوجي وفي هذا البحث سنحاول أن نوضح بعض

([1]) مقدمة في أصول التفسير/ابن تيمية/ص47-تحقيق محمود نصار .

الجوانب المنهجية التي عرضها القرآن الكريم لبناء عقلية علمية ومنضومة معرفية تشكل روح حضارة الإسلام .

وعندما تتوضح لنا الصورة حول المنهج القرآني في الأعجاز العلمي سنجد أن هذا المنهج يستوعب ما يأتي :

1) معنى الأعجاز العلمي ، فهو يتحدى العقل البشري بإيراد الحقائق العلمية التي لم تكن قدرة عقل الإنسان في تنزل القرآن تستطيع معرفة هذه الحقائق و لا تصورها . وبذلك يسلم الإنسان بأن هذا القران لم يكن من قول البشر .
2) معنى الأعجاز البياني ، بحيث صيغة الآيات التي تذكر الحقائق والمفاهيم العلمية صياغة بلاغية معجزة في وصف الظاهرة من حيث الدقة والتفاصيل ومن حيث التأثير البياني والأدبي.
3) معنى التفسير العلمي ، وهو تطور دلالات النصوص وظهور فهم جديد استنادا إلى التطور العلمي الذي توصل إليه الإنسان ، بحيث أصبح النص يعبر عن تفسير جديد يختلف عن التفاسير القديمة .
4) ذكر حقائق علمية سبق بها القرآن الكريم علوم الإنسان ، وهذا التعرض لذكر الحقائق العلمية يبين لنا جانبا من علم الله المطلق وليس المقصود ذكر هذة الحقائق لذاتها وان كان النص القرآني ذكرها بدقة وصواب وهو يعبر عن الحقيقة المطلقة ولكن المقصود هو إحاطة علم الله وشمولية علم الهب .
5) يستوعب المنهج القرآني في إعجازه العلمي أهم قضية في هذا المجال وهي بناء العقلية التحليلية المبدعة التي لا ترضى بتفسير الظواهر تفسيرا سطحيا ، وترفض الخرافة والأساطير، وتتحرك في مجال البحث العلمي التجريبي والاستقرائي وتحترم العقل وتسير وفق قيم وأخلاق القرآن الكريم .

يمكن تقسيم المبحث على مطالب :

المطلب الأول: نموذج تطبيقي للمنهج القرآني في الأعجاز العلمي

تحدث القرآن الكريم واصفا الأرض في آيات عديدة منها قولة تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فصلت/9 .

يقول ابن كثير :(ذكر انه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس والأصل وأن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف أما قولة تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ النازعات / 30 ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء [1] فالدحو هو مفسر بقولة ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ النازعات /31 .

بمعنى انه اخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ، وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد وأختاره ابن جرير ، ودحيا أن اخرج منها مائها والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والأكام[2] هذه المعاني التي كانت متداولة في التفاسير القديمة وعلى ضوء المعارف التي كانت سائدة في تلك العصور أما في العصر الحديث فقد تغيره النضرة استنادا على تطور العلم والتكنولوجية في مجال الفلك والفضاء والجيولوجية بحيث يمكننا إعادة قراءة النص القرآني بموجب هذه الخلفية العلمية فينكشف لنا تفسير جديد يوضح لنا الحقيقة العلمية و عظمت القرآن الكريم ، نفهم من ذلك أن الدحو وبموجب معناه الغوي ودلالة النص القرئاني يفيد التكوير حيث أوردت المعاجم اللغوية أن الأدحية والأدحوة بيض النعام في الرمل أو مكان بيض النعم في الرمل وبذلك يمكن أن نستنتج حقيقتين :

أ – كروية الأرض أو بيضاوية شكلها .

ب – مند الأرض وبسطها لتمهيدها للسير والسعي عليها .

وهكذا نجد أن نصوص القرآن الكريم لو جمعت لأعطت حقيقة هاتين الحقيقتين . فعندما يذكر القرآن الكريم بسط الأرض في قولة تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ق /7 ، فالمد هنا يذكر كحقيقة نسبية أي بالنسبة لسير الإنسان عليها ، أما الدحو فهو حقيقة تكوينية أي أن شكلها بيضوي ، ولذلك لا يتحقق معنى المد الاَّ بكروية الأرض ، لأنها لو كانت مربعة أو مسطحة أو مستطيلة أو أي شكل هندسي ستكون لها نهاية ، (لأنك أذا انتهيت إلى حافتها مهما كان شكلها المسطح ومهما كان اتساع هذا السطح المستوي فلابد والحالة هذه انك واصل إلى النهاية ، إلى الحافة وهنا ستجد فجوة هائلة ولا تجد الأرض هناك ممدودة وهذا يتعارض مع قولة تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ ولكن إذا كانت الأرض كروية فأنك حيث ما كنت وحيثما تسير فوقها إلى يوم القيامة بلا توقف ستجدها ممدودة حولك وفي جميع الاتجاهات وفي كل مكان تصل إلية[3] .

---

(1) ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/ج4/ص93 .

(2) ابن كثير/تفسير القرآن العظيم/ج4/ص 468

(3) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم/ د.عبد العليم عبد الرحمن خضر/164

وهكذا يظهر الأعجاز العلمي في المنهج القرآني فهو إعجاز علمي تحدى الله به عقول البشر و هو أعجاز بياني عبر النص القرآني عن الحقيقة في أروع صورة بيانية وهو تفسير علمي يضيف معاني جديدة ومتجددة للنص القرآني هو ذكر لحقائق علمية سبق بها القرآن الكريم العلم الحديث وهو أسلوب علمي يعبر عن منهج علمي لبناء عقلية علمية تفكر في آيات الله (السماوات والأرض) عن طريق النضرة والمشاهدة لبناء حضارة إنسانية أيمانية ترفع كرامة الإنسان .

المطلب الثاني بين الأعجاز والتفسير: الأعجاز العلمي أعجاز أم تفسير

يذهب بعض الباحثين إلى أن ما تضمنه القرآن الكريم من إشارات إلى حقائق علمية أو إلى قضايا علمية لم يكن إعجازاً إنما هو من باب التفسير العلمي ؛ ويقصر الإعجاز العلمي على الحقائق الواضحة المحكمة فقط (التي لا مجال للشك أو للتشكيك في سبق القرآن بها ، مثل أطوار الجنين المذكورة في سورة المؤمنين وسورة الحج ومثل قاعدة الزوجية في جميع المخلوقات(ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين) الذاريات/ 49 ، ومثل تقرير أن الماء أصل الحياة (وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي) ثم أن الإعجاز لابد أن يسبقه تحدّ واضح ودعوة الى المعارضة بمثل ما يتحدى بة ، وان تتوافر الدواعي إلى قبول التحدي وتنتفي الموانع عن المعارضة ثم يعجز المعارضون جميعا)[1] .

ولابد أن نقرر أن التحدي في القرآن الكريم لم يتوقف ولن يتوقف فكما اخبر القرآن الكريم عن أحداث وقعت في الزمن الماضي وجاء بمعلومات دقيقة حول أحداث التاريخ تحدى بها أهل الكتاب وكما اخبر عن أحداث ستقع في المستقبل كما في بداية سورة الروم ، كذلك تضمن القرآن الكريم إشارات إلى حقائق علمية لم يكن عقل الإنسان المعاصر لتنزل القرآن يدركها فكان التعرف عليها واستيعاب دلالاتها العلمية بعد أربعة عشر قرنا يمثل إعجازاً مفحماً تحدى الله به المعاندين والمشككين الذين لا يخلوا منهم زمان إلى قيام الساعة ، فكانت الآيات التي تتحدث عن مفاهيم تعبر عن أعجاز علمي عظيم يمثل جانبا من جوانب المعجزة الخالدة وبذلك يكون التفسير العلمي للآيات التي تتضمن حقائق علمية أعجازا ، وكذلك التفسير الذي يتحرك ضمن مجال العلوم المعاصرة والتي يحاول البعض أن يربط بين مجالاتها بين دلالات الآيات يعد أعجازا علميا أيضاً ، لان هذا التفسير يكشف ما في آيات القرآن من سر أودعه الله فيها ، حيث جعلها تحتمل المعاني المتجددة وبحسب ثقافة العصر ويرتبط هذا الكشف بالأعجاز العلمي أكثر من

([1]) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، د . يوسف القرضاوي / ص397 .

ارتباطه بالأعجاز البياني[1] ، إذ أن الإعجاز البياني كان يؤثر في السامع بالنظم والصياغة أما هذا اللون فيؤثر في السامع بالمعنى العلمي الذي تضمنته الآيات الدالة علية وان كان هناك تداخل ولكنة إلى الأعجاز العلمي اقرب إلى الأعجاز البياني فأن القضية المثارة والربط العلمي هي المؤثرة ، ولو مثلنا لهذه الحالة بمثال ما ذكرته سورة القيامة لتوضح لنا الأمر كما في قوله تعالى :﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ القيامة/4 ، ففي عصر التنزيل لم يكن عقل الإنسان يلتفت إلى قضيت بصمات الأصابع ولو أشار القرآن الكريم إلى العينين لكان ادعى إلى إثارة الانتباه ، ولكن الأعجاز العلمي كان بالإشارة إلى بصمات الأصابع التي اثبت العلم الحديث أنها مختلفة بين البشر جميعا حتى بين التوأم المثلي فأنهما متشابهان في كل شيء إلا بصمات الأصابع ، فالأعجاز هنا القضية التي أشار إليها القرآن الكريم ثم جاء العلم الحديث ليثبت دقة المعلومات القرآنية التي لا يمكن أن تكون إلا وحياً ربانياً .

المطلب الثالث : مجالات الأعجاز العلمي في القرآن الكريم

تتنازع مجالات الأعجاز العلمي نظريتان :

أولا : نظرة ترفض أن يكون هناك إعجاز علمي لأن العلم غير ثابت وما يتوصل إلية الإنسان عرضة للتغيير والتبديل و الوحي هو علم الله المطلق الذي أحاط بكل شيء فلا يمكن ربطه بعلم البشر النسبي و القاصر، أنكر أصحاب هذه النظرة على الذين يحاولون ربط النص القرآني مع علوم البشر ، وقد ذهب هذا المذهب من القدماء الأمام الشاطبي ويستند بأن القرآن الكريم نزل في امة العرب وكانت العرب امة لم تتعرف على هذه العلوم فيلزم أن تكون الشريعة على معهودهم ومستواهم ولم تخرج عما الفوه ، ويذكر الشاطبي (أن كثير من الناس تجاوزوا – في الدعوى على القرآن – فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم (كالهندسة وغيرها من الرياضيات) والمنطق وعلوم الحروف وجميع ما نضر فيه ، الناظرون من هذه الفنون واشتباهها. ويذكر ان السلف كانوا اعرف بالقرآن وبعلومة وما أودع فيه وام يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فية من احكام التكاليف واحكام الأخرة وما يلي ذلك ، ثم شرع الشاطبي بنقض أدلة أصحاب التفسير العلمي فقال : وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل/89 ،

([1]) يذهب الدكتور القرضاوي إلى ان الأعجاز العلمي في حقيقتة اعجاز بياني . أنظر كيف نتعامل مع القرآن العظيم . م. س .ص367 .

وقولة تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام/38 ونحو ذلك . فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد والمراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ اللوح المحفوظ ولم يذكروا ما فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية[1] ، وإذا كان الشاطبي يعذر لموقفة بسبب ثقافة عصره التي كانت ترى في الشريعة والعقيدة أكثر من العوامل تأثيرا في الحياة وتأثر تداول العلم بالعلوم الطبيعية على طبقة محدودة من الفلاسفة والمفكرين ولكن الموقف الغريب أن نجد من المعاصرين من يقف الموقف هذا بل أكثر شدة رفض ربط العلوم الكونية بالقرآن الكريم حيث يقول سيد قطب رحمة الله تعالى : (أني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون ان يحملون عليه ما لم يقصد إليه وان يستخرجوا منة جزئيات في علوم الطب والفلك والكيمياء وما إليها ، كأنما ليعظموه ويكبروه فلا يجوز أن نعلق على هذه الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن بفروض العقل البشري ونظرياته و لا حتى بما نسميه (حقائق علمية) لان الحقائق القرآنية حقائق نهائية مطلقة قاطعة أما ما يصل إليه آلية البحث الإنساني فهو حقائق غير نهائية ولا قاطعة وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة ، تحتوي على خطأ منهجي أساسي ، كما أنها تنطوي على معاني ثلاثة لا تليق بالقرآن الكريم :

1 - هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن و القرآن تابع من هذا يحاولون تثبت القرآن بالعلم .
2 - سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي ان حقبة نهائية مطلقة تعالج بناء الانسان بناءاً يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الأنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود وناموسها الإلهي حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله .
3 - التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت و لا تستقر وكل يوم يوجد فيها جديد [2] .

ويذهب الشيخ شلتوت رحمة الله المذهب نفسة حيث يقول: (هذة النظريات للقرآن خاطئة من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الناس عن نظريات العلوم ودقائق

([1]) كيف نتعامل مع القرآن العظيم/ص377.
([2]) في ظلال القرآن /سيد قطب ج1/ص180-182 .

الفنون وأنواع المعارف ، وهي خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الأعجاز ولا يسيغه الذوق السليمٍ) [1] .

ويستند الشيخ شلتوت على مذهبة من القرآن الكريم برواية أن الصحابة سألوا الرسول صلى الله علية وسلم عن الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟ فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة/189 ، وهذا دليل بأن القرآن الكريم لم يكن يجيبهم عن تساؤلاتهم حول العلوم الكونية وإنما كان يصرف نظرهم إلى البر والتقوى وكذلك يتكرر التوجيه في قولة تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الإسراء /85 .ثم يعقب الشيخ شلتوت بقولة: (أليس في هذا دلالة واضحة على أن القرآن ليس كتاباً يريد به الله شرح حقائق الكون وانما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع؟) [2] ، وقد ذهب هذا المذهب علما آخرون مثل الشيخ أمين الخولي والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ د.عبد الحليم محمود والشيخ
عبد الله المشد وغيرهم .

__ثانيا:__ أما النظرة الأخرى فتذهب إلى أن القرآن الكريم يحوي جميع العلوم وهو كنز لا ينضب تستخرج منة كنوز العلم بكل فروعها ويذكر الغزالي في الاحياء قول الصحابي ابن مسعود (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن ، ويذكر في كتابة (جواهر القرآن) : أن جميع العلوم مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله وهو بحر الأفعال وذكرنا انه بحر لا ساحل له ، ثم ذكر من أفعال الله تعالى الشفاء والمرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء /80[3] .

وجاء بعد الغزالي ابن أبي الفضل المرسي الذي ذهب مذهب الغزالي في القول بأن القرآن الكريم ذكر جميع الصنائع كالخياطة في قولة تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف/22 ، والحدادة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الكهف/96 ، والبناء في قولة : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة/127 ، والنجارة بقولة تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ

---

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم /مزس/ص370.
(2) مقدمة تفسير الشيخ شلتوت/ص11-14
(3) كيف نتعامل مع القرآن العظيم/م.س/ص375

تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾هود/37، والغزل بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ النحل/92 ، والملاحة بقولة تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ الكهف/79، وهكذا نجد أن القرآن الكريم احتوى إشارات إلى أصول الصنائع والعلوم الدنيوية ، ويذهب هذا المذهب من المعاصرين الشيخ الأمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وكثير من المتخصصين في العلوم الطبيعية يرجحون أن القرآن يحوي كل العلوم فهم يؤكدون ان في القرآن الفلك والطب والكيمياء والفيزياء والهندسة ويذهبون إلى ابعد من ذلك إلى من أراد أن يبحث في محاولات العلوم الطبيعية فعلية بالقرآن لان سيجد من الحقائق والعلوم ما لم يكتشف لحد الآن ، وذهب البعض الأخر في مغالاته وادعى أن جميع الكشوف العلمية توصل إليها الغرب عن طريق دراسة القرآن الكريم و الكشف عن أسراره ، كما يذكر بعض المعاصرين (أن الماهر بالقرآن قد يستنبط منه امور لم يصل اليها العلم التجريبي بعد فيأخذها المسلم من القرآن ويبني عليها البحوث والدراسات التجريبية و يسبق الناس كلهم الى كشوف جديدة قد تكون في غاية الأهمية والنفع الإنساني ، فالمطلوب من الباحث المسلم ان ينظر في القرآن الكريم كمفتاح للسبق الى كشوف جديدة وان ينظر الى آيات العلوم الكونية كما ينظر اليها الفقهاء الأوائل في آيات الأحكام يرد الباحث المذكور على المحتجين بقولة تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ الرعد/31 ، وهؤلاء يحتجون بهذه الآية ويقولون بأن القرآن ليس مفتاحا للعلوم الكونية لان (لو) حرف امتناع وان تسيير الجبال وتقطيع الأرض من نتائج البحوث الكونية وليس هو من شأن القرآن من قريب ولا من بعيد فيرد عليهم هذا مردود لان (لو) لا يلزم أن تكون إمتناعية وإنما قد تأتي للحث على البحث و للعرض)[1] .

المطلب الرابع: المنهج القرآني في الأعجاز العلمي

لو تأملنا أدلة الفريقين لوجدنا أن في كل نظرة جانبا الموضوعية ، ولكن الحقيقة التي تفرض نفسها هي أن القرآن الكريم لا يمكن أن يمنع العقل من التفكير بالعلوم الكونية ولا يمكن ان نقول انه لا علاقة له قريبة او بعيدة لهذه العلوم ، وكذلك لا يمكن ان يكون كتابا يتعرض لتفاصيل هذه العلوم ودقائقها ، ولكن القرآن الكريم تعرض لبعض العلوم الكونية وذكر بعض الحقائق العلمية وكان هذا التعرض والذكر من باب ان علم الله تعالى وكلامه يحيط إحاطة شمولية بالوجود كله ، ولم يكن القصد من ذكره ان يتخذ القرآن مصدراً لدراسة هذه العلوم ، فهذه

([1]) الموضوعات الطبية في القرآن الكريم/د.محمد جميل الحبال و د.وميض العمري/ص15-17

العلوم الدنيوية لها مصادرها ووسائل البحث فيها ، وعندما يذكر القرآن الكريم قضية علمي او يتعرض لها يتحدى عقل الإنسان القاصر ويثبت له بأن هذا الكتاب المعجزة لم يأتي بة بشر وإنما علم الهي بدقته وإحاطته (وبعض أسرار الكلمات فهمناها وكثير من الأسرار مازالت خافية علينا ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتتسابق العلوم فلا تكاد تلحق بأذياله ، فإذا أضفنا إلى كل هذا ان ذلك القرآن المذهل اتى به رجل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة بدوي راعي غنم في بيئة بدوية في صحراء جرداء مقطوعة الصلة بالحضارات والعلوم ، فنحن امام معجزة حقيقية لا يجادل فيها إلا مكابر[1] ، فكان انكار استخدام العلوم الطبيعية في إثبات إعجاز القرآن العلمي موقفا مبنيا على التحسس من مجالات هذه العلوم ومصادرها ، وبسبب الجهل الحاصل بها ، وكذلك التكلف في تطويع نصوص القرآن الكريم والادعاء بان القرآن الكريم فيه كل الكشوف العلمية وان البحوث الغرب في هذا المجال انما جاء عن طريق دراسة أسرار القرآن فهذا أيضاً يعب عن هزيمة أمام الحضارة الغربية ومحاكاتها وتقليدها ، ولابد ان نقرر ان ما يجري من تطويع للصوص والجري وراء الكشوف والمسارعة الى ربط كل كشف علمي بالقرآن الكريم والادعاء بسبق القرآن اصبح موضوعا لا يعبر عن عمق الفكر ولا يملك القدرة على التأثير في المتلقي .

ما هو الشيء الجديد الذي جاء به القرآن الكريم في هذا الصدد ؟

انه المنهج المعروفي بناء العقلية العلمية التحليلية والمتفكرة ، لقد جاء القرآن الكريم بمنهج عليم شمولي يجمع بين العلم والإيمان ، ولأول مرة يدعو كتاب سماوي إلى بناء منظومة معرفية على الجمع بين الغيب والشهود وبين الحس والفكر تعامل مع الأسباب والمسببات بواقعية وموضوعية فكان أول ما انزل في القرآن الكريم دليلا على ذلك في قوله تعالى : (اقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) العلق/ 1-4 ، حيث تبدأ الايات الاولى بالامر بالقراءة ثم تؤكد على ان تكون هذه القراءة مؤمنة تبدأ باسم الله الخالق ثم تؤكد الآيات ان مفتاح المعرفة هو القراءة التي تحقق علما بدأه القرآن الكريم بعلم الخلق ليدل على ارتباط العلم المتخصص في بناء النظام المعروفي الإسلامي ، ثم تفتح القراءة الإسلامية منظومة المعرفة بلا حدود حيث يستخدم القلم كأداة للمعرفة لتعليم الإنسان ما لم يعلم (فالنظام المعرفي القرآني اذا يقوم على الجمع بين قراءتين متلازمتين متكاملتين هما قراءة كتاب الله المسطور(الوحي) وقراءة كتابه المنظور (الكون) ، قراءة الخبر وقراءة المختبر) [2] وهناك اكثر من 92 % من آيات القرآن الكريم جاءت لتحريك الفكر

([1]) القرآن محاولة لفهم عصري /د.مصطفى محمود/ص297

([2]) حول النظام المعرفي في القرآن الكريم /محمود عايد الرشدان/ مجلة اسلامية المعرفة/عدد10/سنة1997/ص37

وتربط بين آيات الله الكونية وبين الإيمان بخالق هذا الكون العظيم وكثيرا ما تبدأ آيات القرآن الكريم بالنظر (فلينظر) او (أفلا ينظرون) وهكذا (لقد دأب كثير من المفسرين على اعتبار هذه الآيات وأمثالها أما تدليلا على قدرة الله ووحدانيته أو إنها وردت للترهيب والاعتبار ، والواقع ان تكرار لفظ (كيف) في آيات السير والنظر يدل على ان المطلوب هو أكثر وأعمق من النظر العابر فمعرفة كيف تتطلب نظر متخصصا وجهودا متواصلا ، لان مجرد رؤية الظواهر الكونية او الاجتماعية شيء يستطيع جميع الناس جاهلهم وعالمهم كافرهم ومؤمنهم على السواء ، أما اكتشاف كيف تكونت هذه الظاهرة فأنة لا يستطيع الا العلماء ، اما الاعتبار من هذا العلم أو الغاية منة فلا يجوزهما إلا العلماء المؤمنون) [1] وهذا في رأينا هو الإجابة عن التحدي الذي يواجه المسلمين على أساس ان الدين لا يملك القدرة على انهاض الأمة و ان التقدم الا بترك الدين ، لان الدين خرافة و الخرافة ضد العلم والتقدم والإبداع ولكن هذا ما حصل في الغرب ولا يمكن نقلة الى عالم المسلمين فقد نشأ العلم في بيئة منكرة للدين حيث يقول فرويد (أن الدين هو اشد الاخطار التي تهدد سلطان المعرفة العلمية و حدودها لما للدين من اثر فعال في المجتمع ، ويرى فرويد انه من المستحيل ان يتهاون الدين مع العلم او العلم مع الدين ذلك لان الدين لا يقبل ان يعلن بوضوح انة غير قادر على ان يمنح الناس الحقيقة وان العلم التجريبي وحدة هو القادر على ذلك وان أي نفاذ للدين الى حقول المعرفة يعد تجاوزا غير مشروع يلزم رفضه ومقاومتة)[2] ، وكان هذا الموقف رد فعل لموقف الكنيسة .

ولكن هل صحيح ان العلم التجريبي اعطى الحقائق للإنسان ؟ لقد تحدث علماء غربيون عن فشل المادية في التوصل الى الحقائق وتشكلت نظرة جديدة للعلم في الغرب تراجعت فيها المفاهيم القديمة في الفيزياء وميكانيكية الكم ومباحث الأعصاب لتحل محلها رؤية جديدة تؤمن بعالم آخر من الجمال والغانية و اللامادية ، (حيث يصر يوجين فغنر على انة في فيزياء القرن العشرين " قادت دراسة العالم الخارجي ذاتها الى ما يفيد ان مضمون الوعي هو حقيقة مطلقة " وهكذا اصبحت العلوم شيئاً فشيئاً أقرب الى اللاإدارية) [3] ، من هنا نجد ان ليس غير النظام المعرفي القرآني نظاما قادرا على معاملة الناس على انهم آدميون متميزون وقادرا على ان يمنح الإنسان شعورا او احساسا بالحقائق المطلقة ، لقد بنا القرآن الكريم منهجا علميا قائما على التجربة و المشاهدة والاستقراء والتحليل والقياس ، وهذا ما تضمنته آياته وما أنعكس على عقلية العلماء المسلمين في عصور النهضة الإسلامية (فالقرآن يرى في الشمس والقمر وامتداد الظل واختلاف الليل والنهار و اختلاف الألسنة و الألوان وتداول الأيام يرى في هذه آيات تدل على

---

(1) حول النظام المعرفي في القرآن/م.س/ص32

(2) حول النظام المعرفي في القرآن/م.س/ص34

(3) العلم في منظورة الجديد/اغروس وستانسيو/ترجمة د.كمال خلايلي/ص146،58

الحق ، وهذه الدعوة الى عالم الحس والشهادة و ما اقترن بها من إدراك متئد بما يراه القرآن من ان الكون متغير في أصله متناه قابل للزيادة ، كل ذلك انتهى بمفكري الاسلام الى مناقضة الفكر اليوناني بعد ان اقبلوا في باكورة حياتهم العقلية على دراسة اثارة في شغف شديد، ذلك أنهم لم يفطنوا أول الأمر إلى أن روح القرآن تتعرض في جوهرها مع هذه النظرات الفلسفية القديمة ، ان هذه الثورة العقلية على الفلسفة اليوناني تتجلى في كل ميدان من ميادين الفكر ، وظهر هذا جليا في رواد النهضة الإسلامية العلمية في مجالات الفلك والرياضيات وغيره من العلوم التي ابدع فيها العلماء المسلمون ، وفي مجال علم الكلام الذي كان بديلا اصيلا عن الفلسفة اليونانية ناقش العلماء المسلمون كيف ان الشك يكون بداية لكل معرفة وتبلورة هذه الفكرة بصورة واضحة عند الغزالي الذي مهد السبيل لمنهج ديكارت ، وانتقده ابن تيمية المنطق اليوناني نقدا علميا منظما ، ويؤكد ابن تيمية في كتابة (نقد المنطق) ان الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة الى اليقين وهكذا قام النهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما اساس العلم واصلة لا التفكير النظري المجرد ويعترف الغربيون ان روجر بيكون اخذ ارائة في المنهج التجريبي وعلومه من الجامعات الإسلامية في الأندلس ويذكر دوهرنج (ان القسم الخامس من كتاب روجر بيكون المسمى (CepusMaius) الذي خصصه للبحث في البصريات هو في حقيقة الأمر نسخة ن كتاب الناظر لابن الهيثم وكتاب بيكون في جملته شاهد ناطق على تأثره بأبن حسن) [1] ، ويذكر بريفولت في كتابة (بناء الإنسانية) : أن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد على خلفاء معلمية العرب في الأندلس وليس لروجر بيكون ولا لسمية (فرانسيس بيكون) الذي جاء بعدة الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي أن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في اسبانيا أثرها واضح في نشأت تلك الطاقة التي تكون مال العالم من قوة متمايزة ثابتة ، أي العلوم الطبيعية وفي روح البحث العلمي) [2] ، وفي ذكرنا لهذه الحقيقة أردنا تأكيد المنهج الديني المعرفي الذي أوجده القرآن الكريم .

المطلب الخامس : أهم النتائج والمقترحات

1 – توضح لدينا من خلال هذه المتابعة السريعة على قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم انه موضوع مهم وحيوي ويمثل في بعض أوجه المشروع الإسلامي واجب الوقت حيث ان خطاب العصر يقتضي عرض القرآن وفق لغة العلم التي هي لغة العصر ، وان أي عرض علمي لتوضيح آيات القرآن الكريم يعبر عن محاولة مفيدة في تجديد فهم نصوص القرآن ولابد من توفر شروط في الذي يتعامل في هذا المجال ولعل اهم هذه الشروط معرفة لغة القرآن الكريم ودلالات

---

(1) انظر:تجديد الفكر الديني في الاسلام/محمد اقبال/ص142ومابعدها.
(2) انظر:تجديد الفكر الديني في الاسلام/محمد اقبال/ص149-150

النصوص ، وعلوم القرآن من ناسخ ومنسوخ وأسباب نزول ومعرفة فهم الصحابة والجيل الأول من المفسرين لكي تتكامل الصورة وضوحاً عند التعرض لتفسير النص القرآني ، وكذلك لابد لمن يتعرض لهذا المجال ان يكون متخصصاً او عالماً بأساسيات العلوم الطبيعية ويستطيع ان يفهم الظاهرة العلمية فمهما دققنا فهماً دقيقاً ويستوعب حقيقة القضية العلمية ومن الشروط أيضاً عدم التكلف والتعسف في تكييف النص القرآني لمفاهيم العلم الحديث كمن يدعي ان (الذرة) الواردة في القرآن الكريم هي (الذرة) المقصودة في الفيزياء ، او ان الإسراء والمعراج حدث في مركبة فضائية، وغيرها من الأفكار المتسرعة والبعيدة عن دلالة النص القرآني وعظمته المرتبطة بعظمة الخالق ، ولكن اذا كان النص واضح الدلالة ولا مجال لصرفة عن المعنى العلمي يجب في هذه الحالة بيان الحقيقة العلمية التي ذكرها القرآن الكريم لأنها تؤكد اعجاز القرآن فتكون آية من آيات اعجاز القرآن وكمثال على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ الشورى/29 ، المفسرون القدامى لم يتعرضوا لكلمة (فيهما) واذا تعرضوا ذكروا ان المراد الارض فقط وإنما ذكر ضمير التثنية (فيهما) لان ما في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة ، هذا ما ذكره الالوسي في تفسير وهذا بلا شك خروج عن الظاهر المتبادر بلا بينة وقد دفعهم الى هذا الاعتقاد ان العوالم العلوية (السماوات) لا توجد فيها كائنات حية تدب عليها ، ولكن العلم الحديث اليوم يتصور وجود حياة على الكواكب الأخرى ويجهد جهدة في محاولة اكتشافها فينبغي ان نقول لة ان هذا هو ظاهر ما يقرره القرآن [1] ، ونحن حين نحاول ان نزيد فاعلية اتجاه الاعجاز العلمي إنما نؤكد ان كثير من العلماء في العلوم الطبيعية سيتأثرون عند معرفتهم ما في القرآن الكريم من أسرار هذه العلوم والتي اخبر الله بها في كتابة المحفوظ ، وقد اسلم الكثير من العلماء الغربيين عند سماعهم بأية تتحدث عن حقيقة علمية ، وكذلك سيتعمق مدلول النص القرآني على ضوء المعارف الحديثة وبذلك ستتوسع ثقافة المسلم ويتعمق إيمانه بالله تعالى وكمثال على توسع مدلول النص في قولة تعالى : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ فأن العلم الحديث يؤكد ان الخلية الحية تتكون من البروتين وهو مادة عضوية غير حية (ميتة) ثم بعد ان تتحد جزيئات البروتين تدب الحياة في الخلية فيخرج الحي وهو الخلية من الميت وهوالبروتين وكذلك يتكون البروتين في داخل الخلية عن طريق عمليات انتاج البروتين ، ومثال اخر على توسيع مدلول النص في قولة تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات/49 ، لم يعرف المفسرون حقيقة عموم ثنائية الخلق او

([1]) انظر كيف نتعامل مع القرآن العظيم/م.س/ص389.

زوجيته وكانوا يفهمونها في الحيوان فقط حتى جاء العلم الحديث فكشف عن مكونات الذرة المتكونة من شحنتين سالبة (الكترون) وموجبة (بروتين) ، وبذلك يتأكد لنا أهمية الإعجاز العلمي في الفكر الإسلامي المعاصر مما يحتم على المفكرين الإسلاميين تقديم الوسائل الفاعلة لنشر ثقافة الإعجاز العلمي عن طريق إصدار المجلات وإقامة الندوات واستخدام الإعلام في نشر هذه الثقافة .

2- لأهمية موضوع الأعجاز العلمي في تشكيل ثقافة اسلامية لابد من إدخال أساسيات العلوم الطبيعية في مناهج الدراسات الإسلامية لتنمية قدرات المتخصصين في الدراسات الإسلامية في فهم لغة العصر العلمية وكذلك لابد من إدخال الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي كمادة دراسية في الدراسة العلمية وفي تخصصات العلوم الطبيعية مثل الطب والهندسة والعلوم ، وذلك لربط العلم بالأيمان حيث يشكل هذا الهدف أولوية في فهم المنهج القرآني في المعرفة ولابد ان نذكر هنا تحفظا يردده بعض العلماء المسلمين ممن تعرض لقضية الإعجاز العلمي وهذا التحفظ هو التأكيد على ضرورة توخي الدقة في الحديث عن ربط القرآن الكريم بالعلم الحديث ، وكذلك لابد من الشعور بالمسؤولية الإيمانية وإخلاص النية وعدم الانفعال العاطفي والاستدراج الى مساحات من الوهم الدعائي والتي لا علاقة لها بالعلم و لابدلالة النص القرآني (فقد شاع وذاع بين كثير ممن يجمعون بين تفسير القرآن الكريم وقضايا العلوم الحديثة مسارعتهم في كل موضع الى القول بأن القرآن الكريم قد سبق العلم في هذا او ذلك من تلك القضايا وهذا منزلق خطير له محاذيره فأنة غالبا ما يكون قولا جزافاً غير مستند على أساس علمي او تأريخي ، فعندما نتكلم عن الجاذبية ونقول : ان هذه القوى كأنها المعنية بالعمد التي لا نواها في قولة تعالى : ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد /2 ، فأنة لا يجوز ان نقول ان القرآن الكريم قد سبق الى ذكر قانون الجذب العام في الرياضة الفلكية عند نيوتن ، ان القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره ونواميسه فمن العبث ان نعقد سباقا لا محل له بين يدي كتاب الله العزيز تنزهت كلماته وبين علوم البشر والتي مهما بلغت ليست الا لمحات من علم الله الشامل)[1] لابد اذا ونحن ندعوا الى فتح مجال الإعجاز العلمي ان نراعي هذه الاعتبارات وان لا نستعلي على قدر العلماء السابقين بحجة قلة بضاعتهم العلمية وان لا نتحدث بصيغة الجزم وانما يكفي ان نوضح فهما جديدا لنص القرآن الكريم واذا كان ثنة خطأ او تغيير فأنة يعود الى الفهم لا الى النص القرآني .

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم/م.س/ص399 .

3 – ونحن نتحدث عن الاعجاز العلمي لابد ان نؤكد الفجوة الكبيرة بين الحقائق العلمية الموجودة في المنهج القرآني وبين واقع المسلمين وكذلك التطور الهائل الذي حققه العالم الغربي في مجالات العلوم الطبيعية فليس من المعقول ان نعقد الندوات لكي نتحدث إلى الناس ونقول لهم ان القرآن الكريم قد تحدث عن علوم الفضاء وعن الطب والصناعة والفيزياء وعلم النفس والاجتماع وغيرها ونحن ننظر إلى الكشوفات العلمية و الإبداع الصناعي والعلمي الذي يحققه الغرب بإعجاب ونعيش في واقع مختلف عن الركب الحضاري نستورد الطعام والشراب واللباس من بلاد الكفر ان هذا العمل تهميش للإعجاز العلمي لان اهم اثر من آثار الإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو العقل العلمي الذي اخرجة القرآن الكريم ، لابد اذا من الكشف عن طاقات العقل المسلم وتحريره من الخرافات والخوف ، ولا محرر للعقل من الخرافات والخوف الا الوحي ولا شيء سوى الوحي ، والتوقف عن التقديس المزيف للماضي وإنتاج عقول المسلمين الأوائل ، لقد كان سقوط بغداد على يد التتار كارثة فكرية ونكبة فادحة ولشدة خوف العلماء من ان تحدث كارثة اخرى حاولوا الحفاظ على وحدة المجتمع فعطلوا الحركة الفكرية واوقفوا الاجتهاد ، وكان سبب ذلك الخوف من كارثة اخرى والنظر الى الماضي نظرة تقديس وتبجيل (ولذلك ان تبجيل التاريخ الماضي تبجيلا زائفا وبعثت المصطنع ليس علاجا لانحلال شعب من الشعوب) .

والقوة الفعالة التي تقاوم قوى الانحلال هي تنشأت افرد ذوي فردية قوية فهؤلاء هم يجهرون بمقاييس جديدة نبدأ نرى في ضوئها ان بيئتنا تفتقر الى التعديل ، وان المبالغة بإظهار احترام زائف للماضي الامر الذي نلاحظه في القرون الأخيرة كان مخالفاً لروح الاسلام لذلك عندما ظهر ابن تيمية واجه تيار الانحطاط والتقليد فقد ولد بعد تدمير بغداد بخمسة اعوام وجاء ابن حزم الظاهري ليتفق مع أفكاره في انكار الاجماع لان الاجماع في رأية اساس كل خرافة والاجماع الذي يعنيه هو اجماع عصره الذي كان يسوده انحلال وضعف التفكير العقلي ، وهكذا لابد من الاهتمام بقضية تطوير العقل العلمي الذي اوجدة القرآن الكريم ومحاولة اعادته الى الامة (لان الدين الذي هو في ارفع مراتبه ليس الا سعياً وراء حياة أعظم وهو في جوهرة تجربة وادرك انة لابد من ان تكون التجربة هي اساسه وقاعدته قبل ان ينتبه العلم الى اصطناع هذا لرأي بوقت طويل فالدين سعي صادق صحيح يستهدف توضيح الشعور الإنساني وهو بوصفة هذا يمحص مستواه في التجربة ، شئنه في ذلك شئن المذهب الطبيعي الذي يمحص مستوى تجربته كذلك) [1] وهكذا يحول القرآن الكريم حياة المؤمن الى مختبر تحدث فيه تجارب الخطأ والتوبة لتعميق الإيمان والوصول إلى نتائج اكثر اقترابا من الحقيقة ، اذا استطعنا ان نرتبط بالقرآن الكريم من خلال هذا الشعور نكون قد ادركنا الطريق الايماني العلمي الصحيح .

([1]) انظر:تجديد الفكر الديني /م.س/ص210

خلاصة البحث

من خلال دراسة موضوع الاعجاز العلمي ومعالجة الاتجاهات التي تتعامل معه اتجاه التوسع المفرط الذي يجري وراء الكشوف العلمية ويطوع النص القرآني لمجاراتها واتجاه التضييق في استخدام الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ويصل في بعض الاحيان الى إلغائه ، يمكن ان نصطلح على المنهج المتوازن الذي يؤمن بالأعجاز العلمي كموضوع حيوي في القرآن الكريم ولا يتمحل في تطويع النصوص ، وهذا المذهب يتمحور في اتجاهين :

أ – اتجاه استخدام الاعجاز العلمي في الدعوة الى الله على اساس ان العلم هو خطاب العصر ، ويتم التركيز على دراسة النصوص القرآنية التي تتحدث عن الظواهر العلمية ، ويمكن التوسع في انتاج فهم جديد لتفسير القرآن الكريم بمقتضى الضوابط الشرعية واللغوية مما يؤدي الى تطوير التفسير وظهور معاني جديدة تؤكد اعجاز القرآن لكل زمان ومكان ، ويمكن ضمن هذا الصدد دراسة ما ذكرة القرآن الكريم من امثال ترتبط بظواهر علمية وما ذكره من الحيوانات او الحشرات الموجودة في البيئة البشرية (وما يسمى اليوم بعلم السلوك الحيوان) ومحاولة الكشف عن اسرار النص القرآني مثل دراسة (العنكبوت ،الذباب ، البعوض ، النحل ، دودة الارض وغيرها) ودراسة النبات او أي عنصر من عناصر البيئة التي ذكرها القرآن الكريم لأن ما ذكره القرآن الكريم في هذا الصدد يعبر عن اعجاز علمي تحدى الله بة عقول البشر فعندما ذكر القرآن الكريم الذباب والعنكبوت والنمل قال الكافرون : ما بال هذا القرآن يذكر الذباب والنمل والعناكب فنزل قولة تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ

أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ البقرة/26 ولعل أفضل مثال على ما نحن بصددة قولة تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت/41 (ولم يقل القرآن خيط العنكبوت او نسيج العنكبوت وإنما قال بيت العنكبوت وهي مسألة لها دلالة ، فالعلم الحديث كشف الآن بالقياس ان خيط العنكبوت اقوى من مثيلة من الصلب ثلاث مرات واقوى من خيط الحرير وأكثر منة مرونة فالنسيج بالنسبة للعنكبوت قلعة حصينة فلماذا يصفه القرآن الكريم (اوهن البيوت) فقد كشف العلم مؤخرا ان بيت العنكبوت هو ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة ، فالعنكبوت الأنثى هي التي تنسج البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة علية وهي تقتل ذكرها بعد ان يلقحها وتأكله ، والأبناء يأكل بعضهم بعض بعد ان يخرجوا من البيض ، ولهذا يعمد الذكر الى الفرار بجلدة بعد ان يلقح أنثاه ولا يحاول ان يضع قدمه في بيتها وتغزل انثى العنكبوت بيتها ليكون فخا وكميناً ومقتلا لكل حشرة تفكر ان تقترب منة ، وكل من يدخل البيت من زوار او ضيوف يُقتل ويُلتهم ، انة ليس بيتا إذاً بل مذبحة يخيم عليها الخوف والتربص وانة لأوهن البيوت لمن يحاول ان يتخذ منة ملجأ ، والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة ، وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منة معينا وناصرا كما وصفت الاية وربطت ما بين الكافرين وبين العنكبوت ، ذروة في دقة التعبير ، وخفاء المعاني ، ومحكم الكلمات وأسرار العلوم أعجاز قطعي لا شك فية يتحدى العقل ان يجد مصدرا لهذا العلم غير المصدر الالهي)[1] .

ب – اتجاه استخدام المنهج العلمي الذي وضعة القرآن للتفكير في آيات الله المثبوتة في الكون كتاب الله المنظور وربط هذا المنهج في ارساء قواعد المنهج العلمي التجريبي في البحث والتطوير وتكوين العقل الغلمي الذي يؤمن بالتجربة كما طلب إبراهيم علية السلام من الله ان يرية كيف يحي الموتى بالتجربة المشاهدة ، ويؤمن بالاستقراء والتحليل والقياس للوصول الى الاستنتاجات العلمية ويرفض الايمان بالخرافة والاسطورة ويبتعد عن الاستغراق في الغيب بصورة مطلقة وانما يستخدم عالم الشهود والواقع للاستنتاج والوصول الى الايمان بعالم الغيب ، وهذا الاتجاة هو اهم جانب في موضوع الاعجاز العلمي ، فالقرآن الكريم ليس كتاب علوم معاصرة وان حوى بعض الحقائق العلمية ولكنة كتاب هداية ودستور لحياة الانسان والمنهج الأساسي في البحث العلمي ليس دراسة القرآن الكريم او البحث في القرآن عن العلوم الطبيعية وان كنا قد نجد في القرآن ذكر لحقائق علمية ولكنها لم تأت بهدف تحويل القرآن الى كتاب

([1]) انظر:القرآن محاولة لفهم عصري /د.مصطفى محمود/ص249 .

علمي تدرس فية العلوم المعاصرة ومن اراد ان يبحث في ميادين العلوم المادية فليبحث في المختبرات ويتبع نهج البحث العلمي التجريبي والسير والنظر في آيات الله في الوجود وكل في مجال اختصاصه ولعل قول الرسول صلى الله علية وسلم في حادثة تأبير النخل خير مثال على ما نقول فعندما قدم صلى الله علية وسلم المدينة وسأله الأنصار عن تلقيح النخل قال لهم: (لو تركتموه بدون تلقيح فإن الله هو المؤثر والمسببِ) ولما تركوة لم يثمر النخل كما كان فلما ذكروا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم : (أنتم اعلم بأمور دنياكم اما على الله فلا اكذبٍ) ، والحديث مروي في الصحاح . وبهذا المنهج يكون الكلام حول الحقائق العلمية المذكورة في القرآن الكريم معبراً عن فهم البشر الذي لا يمكن ان يحيط بعلم الله فإذا كان ثمة خطأ في الفهم لموضوع علمي فهو ليس خطأ في النص ولكنة خطأ في الفهم البشري للنص ... وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

1- الدر المنثور في التفسير بالمأثور/الامام جلال الدين السيوطي ت 911 هـ /بيروت

2- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة/الامام جلال الدين السيوطي ت 911 هـ/

3- مقدمة في أصول التفسير/ شيخ الاسلام ابن تيمية – تحقيق محمود نصار ت 728 هـ /بيروت

4- تفسير القرآن العظيم /الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير ت 774 هـ

5- في ظلال القرآن /سيد قطب/دار الشروق /بيروت 1972

6- كيف نتعامل مع القرآن العظيم /د ز يوسف القرضاوي

7- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم/د.عبد العليم عبد الرحمن خضر

8- الموضوعات الطبية في القرآن الكريم/د.محمد جميل الحبال مع د.فيضي العمري /بغداد

9- القرآن محاولة لفهم عصري /د.مصطفى محمود /بيروت

10- العلم في منظورة الجديد/آغروس مع ستانيو /ترجمة د.كمال الخلايلي/سلسلة عالم المعرفة /الكويت

11- تجديد الفكر الديني / محمد إقبال/ترجمة عباس العقاد/بيروت

12- مجلة إسلامية المعرفة / المعهد العالمي للفكر /فرجينيا /عدد 10 /سنة 1997 .